

مدخل

في قراءات مرافقة لوثيقة حيفا

تحرير:
نديم روحانا



مدى الكرمل
Mada | مدى الكرمل
Madani Center for Applied Arabic Studies

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

w w w . m a d a - r e s e a r c h . o r g

مُدخل

نديم روحانا

بالإجماع. كذلك إنَّ مجموعة كبيرة من المثقِّفين والناشطين أضافوا أسماءهم مؤيِّدين نصِّها.

تتطرَّق الوثيقة، في أساسها، إلى تاريخنا، كجزء من الشعب الفلسطينيِّ كانت النكبةُ الحدثَ المؤسِّس في تحديد مساره، كما أنَّ الصراع بينه وبين المشروع الصهيونيِّ ومجرى هذا الصراع كانا وما زالَا من العوامل المركزيَّة في تحديد معالم حاضره وآفاق مستقبله. وفي كلِّ ما تناقشه الوثيقة -هُويَّتنا الجماعيَّة؛ تواصلنا مع سائر أجزاء الشعب الفلسطينيِّ ومع الشعوب العربيَّة؛ علاقتنا مع دولة إسرائيل؛ قضايانا الاجتماعيَّة الداخليَّة- ينطلق النصُّ من تاريخ الشعب الفلسطينيِّ الحديث الذي أخذ منحىً دراماتيكيًّا منذ قرَّرت الحركة الصهيونيَّة إقامة دولة لليهود في وطنه- في فلسطين-، وأخذت تعمل على سلب هذا الوطن من أصحابه الأصليين في مشروع كولونياليِّ بلغ إحدى ذرواته في النكبة وتشريد معظم أبناء وبنات الشعب الفلسطينيِّ عن وطنهم. وحين نجح المشروع الكولونياليِّ الاستيطانيِّ في إقامة دولة لليهود في الجزء الأكبر من الوطن الفلسطينيِّ، هي دولة إسرائيل، تميَّزت هذه الدولة بأنَّها دولة إثنيَّة، أي دولة لليهود فقط أينما كانوا، واستمرَّت في حرمان اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى وطنهم، وتعاملت مع المواطنين الفلسطينيين داخلها تعاملًا كولونياليًّا، وبخاصَّة في ما يتعلَّق بملكيَّة الأرض وقوانين الهجرة والسيادة على الوطن، وعملت على تمييز مواطن

يطمح هذا الكتاب إلى تقديم أُطر فكريَّة ونظريَّة لمناقشة بعض المصطلحات والأفكار الأساسيَّة التي تتطرَّق إليها وثيقة حيفا، بحيث يتسنى للمهتمين، ولا سيَّما جيل الشباب منهم، تفحصُ طروحات هذه الوثيقة عن التاريخ والحاضر والمستقبل. وعليه، طلبنا من نخبة من الباحثين والأكاديميين مراجعة بعض المصطلحات والأفكار في وثيقة حيفا، وأنَّ يقدموا لنا فصولاً قصيرة حولها، بحيث يستعرض كلُّ فصل واحدًا من هذه المصطلحات ببعض الإسهاب. وستجدون في هذا الكتاب نصوصًا حول: النكبة؛ حقَّ تقرير المصير؛ الدولة الثنائيَّة القوميَّة؛ الدولة الديمقراطيَّة؛ الحداثة؛ مكانة المرأة الفلسطينيَّة؛ المصالحة التاريخيَّة؛ ومصطلحات مركزيَّة أخرى. وبطبيعة الحال، ولكون الكتاب بشكله الحاليِّ كتابًا إلكترونيًّا، سوف نقوم بتحيينه وتطوير موادّه باستمرار، بحيث نضيف إليه فصولاً جديدةً كلِّما اقتضى الأمر ذلك.

تقدِّم «وثيقة حيفا» التي نُشرت في 15 أيار 2007، رؤيا جماعيَّة حول مستقبل الفلسطينيين المواطنين في إسرائيل. عملت على إعداد هذه الوثيقة مجموعة من الأكاديميين والمثقفين والناشطين الفلسطينيين الذين التقوا على مدار سنوات لاختيار مواضيع الوثيقة ومناقشتها والوصول إلى اتِّفاقٍ إجماعيِّ حولها. وبعد نقاشات مستفيضة، وافق جميع أعضاء الهيئة العامَّة المكوَّنة من نحو خمسين شخصًا على الوثيقة

أفكارها الأساسية على نحو ناقد، فإنه ينبغي علينا أن نستعرض بعض المصطلحات المركزية، كي يتسنى للطالب والمهتم أن يتعمق بعض الشيء فيها كما نستعرض في هذا الكتاب.

يشكل هذا الكتاب أحد كتابين نقترح أن يراجعا حين يُقدّم المهتمّ على دراسة «وثيقة حيفا». وسيُنشر الكتاب الثاني بنسخته الإلكترونية أيضاً على موقع «مدى الكرمل» تحت عنوان «الفلستينيون في إسرائيل: حول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية»، وهو يتطرق، كما يُستدلّ من عنوانه، إلى الأوضاع الجماعية للفلستينيين من النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وإلى نواح أخرى -كالناحية الصحيّة- ليزود القارئ بخلفيّة مفيدة وضروريّة لدراسة الوثيقة.

وفي الكتاب الذي أمامكم، نأمل أن يكون «مدى الكرمل» قد ساهم في توسيع رقعة النقاش حول موادّ «وثيقة حيفا» ونشرها في صفوف من يهتمّ الأمر.

على آخر ومجموعة قومية على مجموعة أخرى، وعلى إعطاء المجموعة اليهودية امتيازات كثيرة على حساب المواطنين الفلسطينيين وعلى حساب أصحاب هذا الوطن الأصليين.

إنّ الرؤيا المستقبلية التي طرحها «وثيقة حيفا» تعتمد على تحويل دولة إسرائيل من دولة يهودية إلى دولة ديمقراطية تعتمد المساواة بين المجموعات القومية وبين الأفراد، وتعمل على إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم في عملية مصالحة تاريخية بين الشعبين الفلسطيني واليهودي الإسرائيلي، ينتهي بموجبها المشروع الكولونيالي والامتيازات التي يمنحها لمجموعة على حساب الأخرى. تحدّد الوثيقة شروط هذه المصالحة وأسس الدولة الديمقراطية التي تتوخّاها.

وتشمل الوثيقة العديد من المصطلحات والمفاهيم التي نرى أنّه من المفيد مناقشتها مناقشة نقدية وتطويرها. وإذا كنّا نتوخّى أن تصبح الوثيقة مادّة مؤسّسة تُعرض على الجمهور الفلسطيني للنقاش، وأن يشكّل النصّ مادّة تربوية يراجعها طلبة المدارس والطلبة الجامعيون ويتفحصون